مقدمة

الحمد لله رب العالمين، ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ وَلِىٌّ مِّنَ ٱلذُّلِّ﴾[الإسراء: ١١١] والله أكبر كبيرا.

اللهم إنا نحمدك وأنت أهل أن تحمد وتشكر، ونسألك أن تجعلنا في الآخرة من أهل الحمد الذين يقولون: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَذْهَبَ عَنَّا ٱلْحَزَنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٣٤﴾ ٱلَّذِىٓ أَحَلَّنَا دَارَ ٱلْمُقَامَةِ مِن فَضْلِهِۦ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ﴾[فاطر: ٣٤ ـ ٣٥] ﴿وَقَالُوا۟ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى صَدَقَنَا وَعْدَهُۥ وَأَوْرَثَنَا ٱلْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ ٱلْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَآءُ فَنِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ﴾[الزمر: ٧٤] ﴿وَقَالُوا۟ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى هَدَىٰنَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِىَ لَوْلَآ أَنْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ لَقَدْ جَآءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلْحَقِّ وَنُودُوٓا۟ أَن تِلْكُمُ ٱلْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾[الأعراف: ٤٣] و﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَٰمٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَىٰٓ﴾[النمل: ٥٩].

وصدق الله القائل: ﴿وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ سَيُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ فَتَعْرِفُونَهَا ۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾[النمل: ٩٣]، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، الفرد الصمد، الذي لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفواً أحد، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، بلغ الرسالة، وأدى الأمانة، ونصح الأمة، وتركنا على المحجة البيضاء، ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك، فجزاه الله خير ما جزى نبيًّا عن أمته.

فصلِّ اللهم وسلم، وبارك وأنعم على رسولنا الكريم، وعلى آله وأصحابه أجمعين، واجعل ذلك سرمداً إلى يوم الدين، يا رب العالمين.

أمّا بعد:

فإن من حكمة الله ﷻ إذا أرسل رسولاً أن يعزره بالدلائل الواضحة التي تدل على صدق نبوته، وأن يؤيده بالشواهد القاطعة؛ بحيث لا تدع لمرتاب حجة، وما أرسل ربك من نبي إلا وقد أعطاه ما على مثله آمن قومه، وما ذاك إلا لأجل الإعذار، كما قال تعالى: ﴿رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾[النساء: ١٦٥].

وقال ﷺ: «**ولا شخص أحب إليه العذر من الله؛ من أجل ذلك بعث الله المرسلين مبشرين ومنذرين**»(١).

---

(١) هذا لفظ حديث المغيرة بن شعبة في «صحيح مسلم» (٢٧٥٥)، أخرجه من طريق عبيدالله بن عمر القواريري، وأبي كامل فضيل بن حسين الجحدري، عن أبي عوانة، عن عبد الملك بن عمير، عن وراد كاتب المغيرة، عن المغيرة بن شعبة.

وأخرجه البخاري في التوحيد (٦٨٦٦) من حديث التبوذكي عن أبي عوانة، ولفظه عنده: «**لا أحد أحب إليه العذر...**».

وترجم عليه: باب قول النبي ﷺ: لا شخص أغير من الله، وقال عبيدالله بن عمر: عن عبد الملك: لا شخص أغير من الله.

والعجب أن البخاري أخرجه من طريق التبوذكي، وترك سائر الطرق التي فيها التصريح بنفس لفظ الترجمة، والظن أن التبوذكي رواه بالمعنى، وتصرف به، فقد قال الحميدي في «الجمع بين الصحيحين» (٣/ ٣١٧): قال أبو مسعود في كتابه في حديث القواريري، وأبي كامل، وأبي الوليد الطيالسي، والمقدمي، كلهم عن أبي عوانة: ولا شخص، قال أبو مسعود: وأظن موسى اختصره للبخاري، قال: وكذلك في حديث زائدة عن عبد الملك: ولا شخص. اهـ. =

ورسولنا الكريم ﷺ لم يكن بدعاً من الرسل، بل كان سبيله كسبيلهم، فهو مؤيد من الله ﷻ بأنواع من الدلائل، ومؤزر بأصناف من الشواهد، فمن عمي عن واحد، لن يعمى عن الآخر.

ولما كان نبينا خاتم النبيين، وأكرم الرسل على رب العالمين، فقد ميزه ربه بشيء من الدلائل التي لم يشركه فيها أحد، ولم تكن لنبي قبله.

من ذلك: أن الله ﷻ ختم به النبوات، وأخذ على الأنبياء كافة العهد والميثاق إن هم أدركوه أن يؤمنوا به، وأن ينصروه، فأقروا بذلك، فهؤلاء الأنبياء الذين عرف أقوامُهم صدقَهم بالدلائل الكثيرة آمنوا به، وصدقوه قبل أن يكون، فعلى أقوامهم أن يؤمنوا به كما آمنت به رسلهم في عالم الغيب.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ ۚ قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِى ۖ قَالُوٓا۟ أَقْرَرْنَا ۚ قَالَ فَٱشْهَدُوا۟ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ﴾ [آل عمران: ٨١].

فإن قلت: إنما علمْنا تصديقَ الأنبياء به من القرآن الكريم، وهو الكتاب الذي أنزل على نبينا، ولا يؤمن به كثير من أصحاب الشرائع السابقة؛ فإنك ستجد مصداق هذا العهد والميثاق في كتبهم ـ على ما فيها من تحريف وتبديل ـ، وفي شهادات الذين أوتوا العلم منهم.

= ورواه كذلك محمد بن عبيد بن حساب عن أبي عوانة. أخرجه ابن أبي عاصم في «السنة» (٥٢٢).

وأما حديث زائدة، فقد أخرجه ابن أبي عاصم في «السنة» (٥٢٣).

وأخرجه مسلم من حديث ابن مسعود (٤٩٥٨)، ولفظه: **«وليس أحد أحب إليه العذر من الله؛ من أجل ذلك أنزل الكتاب، وأرسل الرسل»**.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن كَانَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَكَفَرْتُم بِهِۦ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ مِثْلِهِۦ فَـَٔامَنَ وَٱسْتَكْبَرْتُمْ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾[الأحقاف: ١٠].

وقال: ﴿ فَإِن كُنتَ فِى شَكٍّ مِّمَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ فَسْـَٔلِ ٱلَّذِينَ يَقْرَءُونَ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكَ ۚ لَقَدْ جَآءَكَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴾[يونس: ٩٤].

فانظر كيف جعل الله ﷻ بعثة الأنبياء ودلائل نبواتهم كلها دليلاً من دلائل نبوة نبينا الكريم ﷺ.

وأما ما يكون بعد مبعثه وإلى آخر الدهر، فذاك أن نبينا ﷺ قد ختم الله به باب النبوات، فلا نبي بعده، وهذا أمر لم يقله أحد من الأنبياء قبله.

ولما ذاع وانتشر وتواتر بين الناس ذلك ـ أعني: كونه ﷺ آخر الأنبياء ـ لم يستطع أحد أن يزعم أنه نبي يوحى إليه، ثم يكون له شأن وأتباع، بل كل من ادعى النبوة بعده افتضح أمره، وكانت عاقبته إلى خسران.

بل كان هؤلاء المتنبئون الكاذبون دليلاً من دلائل نبوته؛ فإنه ﷺ أخبر ـ فيما تواتر عنه ـ: أن بين يدي الساعة دجالين يزعمون أنهم أنبياء، ولا نبي بعده.

فانظر ـ رحمك الله ـ كيف كان إيمان من صدق به من الأنبياء قبله دليلاً على نبوته، وكيف كان تكذيب من كذب به، أو ادعى النبوة بعده دليلاً كذلك على صدق نبوته، فيا لله العجب!

وإن بين ختمه للنبوات، وبين بدء آدم لها بوناً كبيراً، فأول الأنبياء آدم ـ عليه السلام ـ، وهو أول البشر كذلك، فلم يكن هناك من يكذبه، ولا من يتهمه، فهو مهَّد الباب للرسالات، ولذلك لم ينكر الناس أصل إرسال الرسل.

وأما ختم الرسالات، فهو خارج عن هذا الأصل الذي اعتقدوه وآمنوا

به في الجملة، فانظر كيف أغلق باباً يعظمه الناس، ويتعلقون به، وهو باب النبوات، وكيف ختم برسالته الرسالات، ثم إلى اليوم بعد أكثر من ألف وأربعمائة سنة لا يوجد ما يخرمه، فبأي حديث بعد هذا يوقنون؟

هذا، وقد اعتنى علماء السلف بمعجزات النبي ﷺ، وبدلائل نبوته، وشواهد صدقه، وأفردوا هذه المعارف بالتصنيف، وسموها: دلائل النبوة، وما هذا الكتاب الذي أقدم له إلا حلقة في سلسلة طويلة من تراث سلفنا الصالح ـ رحمهم الله، ورضي عنهم ـ في هذا الباب[1].

---

(١) أكتب هذه الكلمات، وجرحُ المسلمين في غزة هاشم أشد ما يكون نزفاً، وحالهم أكثر ما تكون بؤساً؛ إذ شن عليهم أبناء القردة والخنازير حرب إبادة، من الجو والبحر والبر، وجربوا عليهم أسلحة لم يعهدها التاريخ من قبل، ولم نكن نسمع بها على وجه الدهر، ودكوا مدنهم وقراهم بمدافع البارجات والدبابات، لم يرحموا فيهم شيخاً ولا طفلاً رضيعاً، ولم يفرقوا بين مدني أعزل، أو مجاهد لا يملك من آلات الحرب والمجاهدة إلا ما يدمي ولا يصمي، فليس لكِ يا غزة هاشم إلا الله، ودعاء كدعاء الغريق، لعل الله يكشف الكرب، فحسبنا الله ونعم الوكيل.

على أن في معركة غزة شيئاً من دلائل النبوة ـ هذا الذي نتحدث بين يديه الآن ـ فإنّ صمود أهل غزة، وصبرهم على الموت لا يمكن أن يحتمله إلا من أفرغ الله على قلبه صبراً، وأيده بسكينة من عنده، وما كان هذا الصبر والاحتمال، ثم القتال والاستبسال، إلا لأنهم أتباع رسول الله، ولو لم يكن رسولَ الله حقاً، لما أنزل الله هذا الثبات في قلوبهم.

وقد أغرى الله بين عباد الصليب في جورجيا وروسيا عداوة وبغضاء، واستحدثها فيما بينهم، فنشبت بينهم حرب لا تقاس بحرب اليهود على غزة، لا من حيث قوة أسلحة الدمار، ولا من حيث طول فترة الحرب، ولا عدة الطرفين، فلم يلبث المقاتلون في جورجيا كثيرا حتى استسلموا وجزعوا مما أصابهم، مع أنهم =

وهو الكتاب الثاني الذي أقدمه للقارئ الكريم من مؤلفات شيخ المحدثين في بلاد ما وراء النهر أبي العباس جعفر بن محمد المستغفري ـ رحمه الله ـ؛ فقد سبق أن أخرجت له كتاب: «فضائل القرآن»، وهو نفيس في بابه، ضمنت فيه مباحث قرآنية، ونكات حديثية.

وقد حققت بين يدي هذا الكتاب رسالة في حديث منتشر على ألسن العوام وأشباه العوام، ينسب زوراً إلى الإمام أبي العباس جعفر المستغفري، بعد أن وقفت على نسخته المخطوطة.

والله المستعان، وعليه التكلان، ولا حول ولا قوة إلا به.

❐❐❐

= أصحاب دولة وجيش مجهز بأنواع الأسلحة المدمرة، بينما المجاهدون في غزة ليس لهم بعد الله إلا أسلحة فردية خفيفة المحمل، ضعيفة الأثر! .

فما الذي صبر هؤلاء، وعجل بجزع هؤلاء؟ !

وصدق النبي الكريم ﷺ لما قال في حديث أبي أمامة الباهلي: «لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق، لعدوهم قاهرين، لا يضرهم من خالفهم، إلا ما أصابهم مِن لأواء، فهم كالإناء بين الأكلة حتى يأتيهم أمر الله وهم كذلك»، قالوا: يا رسول الله! وأين هم؟ قال: «ببيت المقدس، وأكناف بيت المقدس» رواه أحمد (٢٢٣٢٠)، وابن جرير في «تهذيب الآثار» (٢/ ٨٢٣)، وصححه، ورحم الله شيخ الإسلام أبا جعفر بن جرير؛ كأنه ينظر إلى حصار شعب غزة ثم حربها لما قال في شرح هذا الحديث: قول النبي ﷺ: «لا يضرهم من خالفهم إلا ما أصابهم من لأواء» يعني النبي ﷺ باللأواء: الشدة، **إمّا في المعيشة من جدب وقحط أو حصار، وإما في الأبدان من الأمراض والعلل أو الجراح**. اهـ.